# المحاضرة التاسعة: علم التاريخ عند العرب (الجزء الاول)

يُعد علم التاريخ أحد أهم العلوم التي اهتم بها العرب منذ العصور القديمة، حيث ارتبط بالإحساس بالزمن وتسجيل الأحداث سواء شفهيًا أو كتابيًا. وقد تطور التأريخ العربي عبر مراحل متعددة، بدءًا من الروايات الشفوية في العصر الجاهلي التي ركزت على الأنساب وأيام العرب، وصولًا إلى التدوين المنهجي في العصور الإسلامية، حيث أصبحت الكتابة التاريخية أكثر دقة وشمولًا.

تناقش هذه المحاضرة نشأة التأريخ العربي قبل الإسلام، مع تسليط الضوء على مصادره المتنوعة مثل النقوش والكتابات القديمة، والشعر الجاهلي، والمصادر الإسلامية، إضافة إلى تطور الكتابة التاريخية عند العرب بعد ظهور الإسلام وتأثير العوامل الفكرية والسياسية والاجتماعية في ازدهارها. كما تتناول المحاضرة دور المؤرخين المسلمين في توثيق التاريخ وتنوع أنماط الكتابة التاريخية، مما ساهم في بناء تراث تاريخي غني لا يزال محل دراسة وبحث حتى اليوم.

## أولًا: التأريخ العربي قبل الإسلام:

التأريخ عند العرب قبل الإسلام ارتبط بالإحساس بالزمن وتسجيل الأحداث بشكل شفهي أو كتابي.

- **في اليمن** :كان لديهم نقوش بخط المسند تسجل أنشطة دينية وسياسية وعسكرية، لكن معظم هذه الآثار تلاشت. رغم ذلك، استمر توثيق الأحداث حتى القرن الرابع الهجري.
- **في الحيرة والشام** :ظهرت نقوش وقصص تعكس جزءًا من تاريخهم.
- **في الحجاز ونجد** :تركز اهتمامهم على القصص الشفوية حول "الأيام" والأنساب.
- المادة التاريخية الجاهلية اتسمت بالمبالغة والتحوير نتيجة النقل الشفهي وتأثير الإسلام على التوثيق.
- الأنساب كانت أداة اجتماعية لكنها افتقرت للدقة التاريخية، وتعرضت للتسييس بعد الإسلام.

**ثانيًا: مصادر التاريخ الجاهلي:**

تاريخ الجاهلية ضعيف التوثيق ومعظم المعلومات جاءت من:

1. **النقوش والكتابات** :مصادر مهمة للنقوش الأثرية قبل الإسلام.
2. **الكتب العبرانية** :مثل التوراة، ذكرت العرب في سياقات تاريخية بين 750 ق.م والقرن الثاني ق.م.
3. **المؤلفات اليونانية والرومانية والسريانية** :استمدت معلوماتها من التجار والمحاربين.
4. **المصادر الإسلامية** :مثل القرآن الكريم، الحديث، كتب التفسير والسير.
5. **الشعر الجاهلي** :مصدر رئيسي للمعرفة الجاهلية، اعتُبر "ديوان العرب"، حيث حفظ الأنسب والمآثر.

**نشير هنا الى نقطتين مهمتين وهما:**

- النقوش والكتابات أضافت دقة جديدة بعد جهود المستشرقين.
- الروايات الشفوية والشعر حفظت التراث لكنها تفتقر للموثوقية التاريخية الدقيقة.

**ثالثا: تطور الكتابة التاريخية**

شهدت الكتابة التاريخية عند العرب تطورًا ملحوظًا عبر المراحل الزمنية، حيث انتقلت من الاهتمام البسيط بتسجيل الأحداث إلى التخصص والتحليل. تزامن هذا التطور مع اتساع الدولة الإسلامية، واحتكاكها بثقافات أخرى، مما أثر في منهجية المؤرخين وأساليب الكتابة. يمكن تقسيم هذا التطور إلى مراحل وأشكال مختلفة تعكس نضج الفكر التاريخي لدى العرب.

1_ البدايات الأولى، في عصر الخلفاء الراشدين والعهد الأموي، برز اهتمام خاص بتسجيل الأحداث المهمة. ركزت الكتابات على الفتوحات الإسلامية والصراعات السياسية، بظهر ذلك مع بدايات تدوين المغازي والسير، مثل كتابات عروة بن الزبير.

2_العصر العباسي: يعتبر العصر العباسي ذروة التدوين التاريخي، تأثرت الكتابة التاريخية بتوسع الدولة الإسلامية، مما أدى إلى الحاجة لتوثيق أحداثها المتعددة. فظهرت كتب شاملة مثل: "تاريخ الأمم والملوك" للطبري، نموذج شامل يغطي الأحداث الحولية، و"فتوح البلدان" للبلاذري: سجل لتاريخ الفتوحات من منظور جغرافي.

3_ أنماط الكتابة التاريخية:

1_ التاريخ العام (الحولي): يغطي الأحداث بشكل سنوي ومنظم، مثل "الكامل في التاريخ" لابن الأثير.

2_ السير الذاتية: تناولت حياة الشخصيات البارزة مثل للخلفاء والقادة والعلماء، مثل "الطبقات الكبرى" لابن سعد.

3_ التاريخ الموضوعي: ركز على مجالات محددة مثل الحروب، الاقتصاد، أو العلوم، مثل "المغازي" للواقدي.

4_ دور الفلسفة في الكتابة التاريخية: في مراحل متقدمة، تأثرت الكتابة التاريخية بالفلسفة والمنهج العقلي، مثل ابن خلدون في "المقدمة"، حيث قدم تفسيرًا اجتماعيًا وتحليليًا للتاريخ، ركز على أسباب الظواهر التاريخية مثل صعود الدول وسقوطها، بدلًا من الاكتفاء بالسرد.

**رابعا: أهمية التاريخ عند العرب**

- **التاريخ كجزء من الهوية والتراث:**

**1_ قبل الإسلام:**

أ_ اعتمد العرب على الأنساب كوسيلة أساسية لتعريف هويتهم، حيث كانت معرفة الأنساب تُمثل المكانة الاجتماعية والروابط القبلية.

ب_ الحكايات الشعرية وأخبار الحروب مثل "أيام العرب" لعبت دورًا مهمًا في نقل مآثر القبائل وبطولاتها، مما عزّز من شعورهم بالانتماء.

**2_ بعد الإسلام:**

أ_ أصبح للتاريخ بُعد ديني مهم، حيث خدم توثيق السيرة النبوية وأحداث الإسلام المبكرة كوسيلة لتعليم المسلمين وتثبيت العقيدة.

ب_ اهتم المسلمون بتسجيل الفتوحات الإسلامية، التي كانت تُعتبر جزءًا من تحقيق الرسالة الإلهية ونشر الدين، مما جعل التاريخ مرتبطًا بمفهوم التقدير الإلهي.

## خامسا: عوامل ازدهار الكتابة التاريخية عند العرب في الحضارة الإسلامية

**1_ التاريخية الإسلامية:**

أ_ الإسلام دين عالمي وكوني يرى أن الأديان السماوية الثلاثة (اليهودية، المسيحية، والإسلام) تشترك في جذر تاريخي واحد

ب_ هذه الرؤية ساهمت في جعل التاريخية الإسلامية شاملة وعالمية، متجاوزة الانتماءات القبلية إلى انتماء ديني أوسع.

ج_ تحدث القرآن الكريم عن "أساطير الأولين"، بمعنى النصوص المكتوبة وليس القصص الخرافية، مما عزز أهمية التاريخ كعنصر للتأمل والاعتبار.

**2_ الحاجات الفكرية والسياسية والتنظيمية:**

أ_ مع توسع الدولة الإسلامية، برزت حاجة لمعالجة قضايا مثل السياسات، الضرائب، الإدارة، والسلطة.

ب_ نشأت علوم ومعارف إسلامية جديدة تعتمد على التاريخ لفهم التجارب السابقة، مثل تجربة الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين.

ج_ الحاجة إلى تفسير أسباب نزول الآيات لفهم النصوص القرآنية، ومناقشة شرعية السلطة بين الفرق المتنازعة (الأمويين، العلويين، الخوارج)، أضافت أهمية للكتابة التاريخية.

د_ تطورت مجالات مثل النظام القضائي والمالي استنادًا إلى التاريخ وتجارب الصحابة والتابعين.

**3_ استمرار العصبيات القبلية والقومية:**

أ_ العصبيات القبلية بين عرب الشمال والجنوب، وكذلك العصبيات القومية بين العرب والفرس، أثرت على التوجهات السياسية والثقافية.

ب_ هذه التوترات ولّدت كتابات تاريخية تناولت الصراعات الثقافية والحضارية، كما ساهمت في ترجمة النصوص التاريخية الفارسية إلى العربية.

**4_ عوامل أخرى مساعدة:**

**أ_ التقويم الهجري:** ساهم قرار عمر بن الخطاب باعتماد التقويم الهجري في ترتيب الأحداث زمنياً بدقة، مما ساعد في تنظيم الكتابة التاريخية.

**ب_ الأنساب:** ارتبطت دراسة الأنساب بتنظيم القبائل، وبرزت كتابات في هذا المجال مثل "أنساب الأشراف" للبلاذري.

**ج_ رواية الشعر والأدب:** اهتمت رواية الشعر والأدب بجمع الأخبار، ما جعلها جزءاً من المادة التاريخية، كما في أعمال اللغويين مثل أبي عبيدة.

**د_ تشجيع الخلفاء:** الخلفاء الأمويون والعباسيون دعموا الرواية والتدوين التاريخي، مثل معاوية بن أبي سفيان وهشام بن عبد الملك، الذي شجع ابن شهاب الزهري على التدوين.

**هـ_ شيوع صناعة الورق:** انتشار صناعة الورق بأسلوب صيني ساهم في ازدهار التدوين، حيث أصبحت الكتابة أرخص وأسهل، وظهرت مراكز الورق في بغداد وسمرقند.

**5_ العوامل المكونة للكتابة التاريخية:** تأثرت الكتابة التاريخية بعاملين أساسيين:

**أ_ العامل الإسلامي** :تطور العلوم الشرعية كالتفسير والحديث.

**ب_ العامل القبلي** :استمرار العصبيات القبلية وتكوين الولاءات السياسية والاجتماعية.

فالكتابة التاريخية العربية في القرون الثلاثة الأولى للهجرة كانت نتاج تفاعل بين التأثيرات الدينية والاجتماعية والسياسية، مما جعلها ميداناً غنياً وواسعاً يشمل مختلف جوانب الحياة.